

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم علوم القران والعلوم الاسلامية

القصة القرآنية خصائصها وأغراضها

بحث تقدم به الطالب (إيهاب مؤيد حسن) الى قسم علوم القران والتربية الاسلامية /
كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة ديالى ، وهو جزء من متطلبات نيل شهادة
البكالوريوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ
وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

سورة يوسف آية (٣)

قائمة المحتويات

| | |
|---------|------------------------|
| أ | عنوان البحث |
| ب | الآية القرآنية |
| ج | قائمة المحتويات |
| د | الإهداء |
| هـ | الشكر والتقدير |
| و - س | المقدمة |
| ١ - ٥ | المبحث الأول |
| ٦ - ٢١ | المبحث الثاني |
| ٢٢ - ٣٢ | المبحث الثالث |
| ٣٣ - ٤٢ | المبحث الرابع |
| ٤٣ | الخاتمة |
| ٤٤ - ٤٥ | قائمة المصادر والمراجع |

الإهداء

أهدي بحثي :

إلى ... من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... ونصح الأمة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين ...
سيدنا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) .

من سعى وشقي لأنعم بالراحة والهناء ، الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح ،
الذي علمني أن ارتقي سلم الحياة بحكمة ، إلى والدي الشهيد البطل الذي ضحى بروحه الطاهرة
من أجل هذا الوطن .

الينبوع الذي لا يمل العطاء ، إلى من حاكت سعادتي بخيوطها منسوجة من قبلها ، إلى والدي
العزيزة أطل الله في عمرها .

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذراهم فؤادي ، إلى إخوتي أخواتي .
إلى الروح التي سكنت روحي .

ولا أنسى كل من ساندني وأعانني في هذه البحث، الى من سرنا سوياً ونحن نشق الطريق معاً
نحو النجاح والابداع ، إلى زملائي زميلاتي .

إلى من علموني حروفاً من ذهب ، وكلمات من درر، وعبارات من أسمى أجلى عبارات في
العلم ، إلى من صاغوا لنا علمهم حروفاً ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح ، إلى
أساتذتي الكرام .

الشكر التقدير

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد ...

وقبل أن نمضي تقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ...

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة ...

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل ...

وأخص بالذكر الدكتور البروفسور (عمار أموري)

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه منهاجاً وتبياناً لكل شيء ، وارسل رسوله بالهدى ودين الحق هداية ورحمة للعالمين ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وحامل أكمل رسالاته سيدنا محمد صلى الله عليه واله وصحبه وسلم . ومن سلك طريقه واتبع سنته الى يوم الدين . فإن القرآن الكريم نهر متدفق من المعرفة ، فإنه كان وما زال يرفد البشرية بقواعد منهجية ومعالم تربوية وأصول فكرية تدلها دائماً على الطريق القويم والصرراط المستقيم الذي ان اتبعته اهتدت ورشدت وان تنكبت معالمه وحادت عنه تاهت وفسدت . قال تعالى ((قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلم ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى الصراط المستقيم)) (١)

ان القرآن الكريم وقصصه كنوزاً تربوية ولطائف وتوجيهات منهجية للفرد والاسرة والمجتمع ، لو اجتمع لها الباحثون على اختلاف ميولهم ونظراتهم ودراساتهم لم يستطيعوا ان يجمعوا الا قسطاً منها . وتكلمت اهمية القصص القران في اتساع موضوعاتها وشمول أغراضها وسهولة استيعابها وتنوع فوائدها وتعدد القيم التربوية التي تحويها .

والقصص القرانية هي واقعية الامم والمجتمعات قد مضت وانتهت وحفظها القرآن وعرض احداثها ، لانها قصص هادفة ومواقف مربية تنتمي الانسانية فكريا وأدبيا وروحياً وتسمو به .

ومن أعجب ما في قصص القرآن الكريم هو دقة الايجاز وبراعة الاعجاز في كل قصة ،

فهي مع قلة العبارة ، ودقة الأشارة كثيرة المعاني بعيدة الحرامي . وكذلك من عجائب القصص القراني ذلك الجو الروحاني الذي يحيط بالقارئ والسامع وما يتغشاها من فيض أيماي يجري فيه مجرى الدم ، وذلك حينما يشعر ان الله تبارك وتعالى بعظمته وجلالته هو الذي يقص عليه أحس القصص ويختار له أجمل الاحداث .

ومن هنا جاءت أهمية الموضوع الذي اخترته ، بمنشورة أسأتذتي الفضلاء ، والموسومه ، ((القصة القرانية ، خصائصها وإراضها))

(١) سورة المائدة (١٥ - ١٦)

فقد جعلت بحثي هذا على مباحث اربعة مسبوقه بمقدمة :

فقد تناولت في المبحث الاول :

القصة بين المدلول الغوي والاصطلاحي وقسمته الى مطالب فكان:

المطلب الاول : القصة لغة

المطلب الثاني : القصة اصطلاحاً

المطلب الثالث : الفرق بين القصة القرآنية والادبية .

وتناولت في المبحث الثاني : العانصر في القصة القرآنية . وقسمته الى مطالب ثلاث ، فكان .

المطلب الاول : الشخصيات

المطلب الثاني : الاحداث

المطلب الثالث : الحوار // أ - الحوار المباشر - ب - الحوار الداخلي

وتناولت في المبحث الثالث : الخصائص في القصة القرآنية : وتناولت فيه .

المطلب الاول : تنوع اسلوب الاستهلاك في القصة .

المطلب الثاني : تكرار السرد بأساليب مختلفة .

المطلب الثالث : العرض التمثيلي .

المطلب الرابع : التصوير الفني .

وتناولت في المبحث الرابع : أغراض القصة القرآنية ، وتناولت فيه ،

المطلب اولاً : إثبات الوحي الالهي والرسالة النبوية لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

المطلب الثاني : تثبيت العقائد الصحيحة ونفي الخرافات والافكار القديمة

المطلب الثالث : تثبيت فؤائد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)

المطلب الرابع : الانذار .

المطلب الخامس : الموعظة .

المبحث الاول

القصة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي

المطلب الاول القصة لغة :

القص : البيان والقصص بالفتح الاسم.

والقصة : الخبر والمقصوص ، وقص علي خبره يقصه قصاً وقصصاً أورده .

والقصص: الخبر المقصوص ، بالفتح ، وضع موضع المصدر حتى صار اغلب عليه.

والقصص : بكسر القاف : جمع القصة التي تكتب .

وتقصص كلامه : حفظه ، وتقصص الخبر تتبعه . (١)

والقصة بالكسرة النوع ، والقصة الشأن ، والقصة الأمر ، يقال رفع فلان قصته الى السلطان .

والقصة : الأحداث التي تكتب ، جمعه قصص واقاصيص على غير قياس. (٣)

وقص عليه الخبر والرؤياحدث بها على وجهها ومنه قوله تعالى:(نحن نقص عليك احسن القصص

بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين)**اي نبين لك احسن البيان (١)

(١) ينظر لسان العرب / مادة ق ص ص . ابن منظور للأمام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري - دار صادر للطباعة والنشر / دار للطباعة والنشر - ١٩٥٦م - ١٣٧٥هـ - ج ٢ - ص ١٢١

(٣) ينظر البستان / مادة ق ص ص . الشيخ عبد الله البستاني اللبناني - المطبعة الامريكانية / بيروت/ ١٩٣٠

(٤) المصدر نفسه / ج ٢ ، مادة ق ص ص . ج ٢ - ص ٥٤

يعرف الباحثون القصة بأنها:

((حكاية من حوادث ماضية في شؤون فردية او اجتماعية يعالج بها اصحابها جانباً من جوانب الحياة . وقد تطول تلم القصة وتقتصر بحسب حوادثها قلة وكثرة وبحسب ما تتناوله من الاغراض والمقاصد . وهي عادة تهدف الى توجيه الناس نحو غاية معينة وخطة مرسومة تفتح لها آفاقاً واسعة تنجلي في تلك الافاق صور الماضي والحاضر فيأخذون منها القصة والعبرة ويستنتجون منها افضل ماتكون عليه حياتهم في المستقبل))(١)

((او هي عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب او تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته ، او بسط لعاطفة اختلجت في صدره فأراد ان يعبر عنها بالكلام ، ليصل بها الى اذهان القراء ، محاولاً ان يكون اثرها في نفوسهم مثل اثرها في نفسه))(٢)

(١) دراسات في النقد الادبي / رشيد العبيدي / ، مطبعة المعارف / بغداد ١٩٦٩م . ج ٢ - ص ٤٠

(٢) التعبير الفني في القران / الدكتور بكرى شيخ امين ، دار الشرق - بيروت ١٩٧٣م - ١٣٩٣هـ . ج ١ - ص ٣٢٠

المطلب الثالث : الفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية

يفترض الادباء في القصة الفنية بمعناها العام وجود عناصر رئيسية هي :- الموضوع والشخصيات والحوار والعرض والعقدة والحل . ثم ينصفون بدقة شروط كل من هذه العناصر ويبيّنون انواع الخلل التي تنتظراً عليها فتحليلها من قصة فنية الى غير فنية .

فقبل الخوض في كون القصة القرآنية تختلف او تتفق مع القصة الادبية وجب علينا ان نعرف ماهي القواعد التي وضعها الادباء حتى تصبح قصة فنية . (فمن جملة هذه القواعد :-

١ . ان تكون للقصة وحدة فنية .

٢ . ان يراعي في عرضها جانب التلميح ما أمكن .

٣ . ان يعنى كاتبها برسم شخوصه .

٤ . ان يكون للقصة هدف ومغزى .

٥ . الا تظهر فيها الموعظة او الحكمة ظهوراً مباشراً .

٦ . الا تخلو من عنصر التشويق .

٧ . ان يكون اسلوبها طبيعياً لاهو بالمتهافت ولا بالمبالغ الصعوبة .(١)

واذا ما أردنا ان نتحدث عن طبيعة القصة الفنية فأننا سوف نلاحظ ان القصص الادبي تختلط فيه الحقيقة بالخيال - امثال القصة الاسطورية - او تكون قصة واقعية الا ان الشخصيات فيها من صنع الكاتب يدمج فيها الكثير من الخيال القصصي . (وعنصر التشويق لا يحسن ولا يعذب الا بالاغراق ، والمبالغة والغلو فيه يختلط الخيال بالحقيقة وتبعد فيه افاق التصوير فيحمل وقعة في النفوس بمقدار بعده عن الواقع والحقيقة لانه يتجه الى تنمية الخيال مع شيء من التوجيه .(٢)

عند ذلك رأينا ان القصة القرآنية اذا اريد تعريفها بنفس التعريف الادبي فإننا سوف نخطأ وذلك لعدة امور منها :-

(١) التعبير الفني في القرآن ، بكرى الشيخ امين ، ٢١٣ . ج ١ - ص ٤٥-٢٠

(٢) ينظر القصص القرآني ابحاؤه ونفحاته ، الدكتور فاضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، الاردن ، ١٩٨٧، ج١-

* ان القصة القرآنية ليست عملا فنيا مقصودا لذاته ، وانما هي وسيلة للارشاد والايمان والعضة وشرح الاوامر والنواهي الشرعية ، ونشر فكر الحق والخير والتعاون بين الناس ، وكانت القصة احدى وسائل القران الى غايته .

* وان القران الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء ، ولم يكن في قليل او كثير منه كتاب قصص فني بل انه كتاب تشريع وعقيدة ، كتاب انزل ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ودستور للحياة الانسانية في مختلف علاقاته الروحية والجسدية ، الفردية والجماعية .(١)
تعد القصة القرآنية اول قصة ملتزمة عرفها الادب العربي ، وذلك بما تهدف اليه من دعوة التوحيد ، وتحت عليه من خلق قويم وما ننهي عنه من فساد وشرك ، وما تثبته من ادلة على صدق ماجاء به الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، ففي القران الكريم اشارات تحدد دورها الاخلاقي الديني كقوله تعالى : (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)(٢)

واذا تأملنا في الاسلوب الذي قدمت به وماله من تأثير نفسي وفني اتضح وجه تسميتها بالقصة استنادا الى مدلولها اللغوي فقط . باعتبار ان اصل الاشتقاق اللفظ القصة يلتقي في المعنى مع المدلول الذي انبنى عليه اصل التسمية القرآنية وهو : الاعلام بالبناء : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق)(٣) بل واعتمادا على مافي عرضها من طرق فنية رغم ان شروط القصة بمعناها الاصطلاحي لا تنطبق عليها غالبا ، وذلك لقصرها واقتصار القران الكريم في اكثر الاحيان على ذكر حلقة منها او اكثر ، وعدم استيفائها كل عناصر القصة مجتمعة من حوار واشخاص وزمان وعقدة كما شاع ذلك في معظم القصص الفني (٤)

(١) ينظر التعبير الفني في القران ، بكرى شيخ امين ، ٢١٣ .

(٢) الاعراف : ١٧٦

(٣) الكهف : ١٣

(٤) ينظر سيكولوجية القصة في القران ، تهامى نغرة ، الطبعة ١٩٧٤م ، ج١- ص ٨٥

الا ما رأيناه في بعض القصص امثلة قصة يوسف عليه السلام ، وقصة مريم (عليها السلام) وذلك لحاجة القصة الى ان تورد كاملة الحلقات من غير ان يترك منها شيء مجتمعة العناصر لا يتخلف عنصر منها ، فلا يؤخذ على القران الكريم انه لايتناول القصة من جميع اطرافها ، انه يلمح اليها تلميحا ، اعتمادا على شهرتها . (لذلك لم يسمها القران (اخبارا) لانه لم يقدمها كما تقدم الاخبار المجردة خالية من التصوير الفني ، والاثار النفسية ، ولم يسمها (حكايات) لانه لم يسردها كما تسرد الحكايات التاريخية في كتب التاريخ مجردة مما يأخذ الاسماع والقلوب من غوص في مكامن الشعور وتشخيص للحادثة وتنسيق في العرض وايقاعا في الموسيقى اللفظية . لكنها اخبارا تخيرها من التاريخ على اساس انها اوثق صلة بالانسان واوضح دلالة على الفكرة واعمق مغزى للغرض .(١)

(١) سيكولوجية القصة في القران ، تهامى نفرة ، ج١ - ص ٨٦

المبحث الثاني
عناصر القصة القصيرة

المطلب الاول : الشخصيات .

المطلب الثاني : الاحداث .

المطلب الثالث : الحوار .

أ- الحوار المباشر

ب - الحوار الداخلي (المنولوج)

المبحث الثاني

عناصر القصة القصيرة

للقصة في القرآن الكريم منهج فريد ، لا يشبه اي اسلوب من الاساليب المعهودة للقصة ، وهي تتبع في ذلك الاغراض التي سبقت من اجلها ... قد تبين لنا ان القصة في القرآن الكريم ليست عملا فنيا مقصودا لذاته ، وانما هي مسوقة لغرض ديني مهما تنوعت اقسامه وتفرعت اشكاله . غير ان القرآن يتخذ من الجمال الفني اداة لتحقيق هذا الغرض(١). ولانه لكل قصة من قصصه عناصر تظهر مرة وتختفي او تكاد تهمل مرة . ((فإننا نستطيع ان نجد بعض العناصر البارزة قائمة في معظم القصص التي وردت في الكتاب الكريم : عنصر الشخصية والحوار والصراع والمفاجأة والتصميم)) (٢). ((وتوزيع العناصر في القصة القرآنية يجري على مايجري عليه التوزيع في كل قصة ادبية قصيرة او في كل اقصوصة ، وهو يجري في امثال هذه الاعمال الفنية على اساس ابراز عنصر واحد تسليط الضوء الساطع عليه حتى يحل محل الصدارة من القصة او الاقصوصة)) (٣). نعم قد نجد هذه العناصر مجتمعة وموزعة التوزيع الفني في قصة كقصة يوسف عليه السلام ، ولكن ذلك لم يكن الكثير الغالب ، لان القرآن كان يجري في قصصه على اساس الاقصوصة لا القصة الطويلة .

((وتوزيع العناصر في القصة القرآنية كان يتطور بتطور الدعوة الاسلامية ويجري معها في مضمار . ومن هنا كنا نرى عنصر الاحداث هو العنصر البارز في الاقاصيص التي يقصد منها التخويف والانذار ، وعنصر الاشخاص هو العنصر البارز في الاقاصيص التي يقصد منها الافاظة والايحاء والى تثبيت قلب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومن اتبعه من المؤمنين . وعنصر الحوار هو العنصر البارز في الاقاصيص التي يقصد منها الدفاع عن الدعوة الاسلامية والرد على المعارضة وهكذا)) (٤).

(١) انظر من روائع القرآن / محمد سعيد البوطي / مكتبة الفارابي - مطبعة الملاح - ط٤ ١٩٧٥ - ٢٣٢

(٢) التعبير الفني في القرآن / الدكتور بكرى شيخ امين / ج١ - ص٥٥

(٣) الفن القصصي في القرآن / محمد احمد خلف الله ، القاهرة ، ١٩٥٠ - ١٩٥١ م . ٢٩٢

(٤) المصدر نفسه / ٢٩٣

المطلب الاول

الشخصيات في القصة القرآنية

الاشخاص :

ولن نقصد هنا الشخصيات الاناس من عباد الله فنقصر الحديث عليهم ، ذلك انما نقصد كل شخصية وقعت منها احداث وصدت عنها عبارات وافكار ادت دورا ايجابيا في القصة ، وعلى هذا فسيكون من الشخصيات في القصص القرآني الاناس من رجال ونساء ، وجن وسيكون منها الطيور والحشرات(١)

أ- الرجال : في القصص القرآني كثيرون منهم رسل وانبياء كآدم ونوح، وهود، وصالح ، ابراهيم، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، وشعيب ، ولوط ، وموسى ، وزكريا ، ويحيى ، وايوب وغيرهم. ومنهم افراد من عامة الناس او ملوك او وزراء كفرعون ، وهامان، وأزر ، ولقمان(٢) والعزيز وابن نوح وأخوة يوسف ، واصحاب السجن ، ويشترك هؤلاء جميعا في ان القران لم يقم وزنا لصفاتهم ومميزاتهم الحسية فلا طول ولا عرض ولا لون بشرة ولا ملامح ولا قسماط ، من كل تلك الصفات التي تميز شخصية عن اخرى والتي يلجأ اليها الباحث ليجعل منها معالم يهتدي بها بين الاجسام والعقول حين يؤثر احدهما في صاحبه(٣). على ان في القران بعض الاشارات الى بعض صفات هذه الشخصيات الا انها ليست بالكثير المستكثر فيه . ((ومهما تكن صورة هذه الشخصية فإنها بطبيعة الحال هي التي تحرك الاحداث ، وتضطرب بها ، او تقوم الاحداث

(١) الفن القصصي في القران / محمد احمد خلف الله ، ج ١ - ص ٢٩٦

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه / ص ٣٠٥

نفسها بتحريك الشخصيات او تتساقق وتتوازن فلا تغطي الشخصية على الحدث ، ولا يغطي الحدث على الشخصية))(١). رسم القران الكريم من خلال تعبيره عن الاغراض الدينية المختلفة عشرات من النماذج الانسانية ، رسمها في سهولة ويسر واختصار ، فما هي الا جملة او جملتان حتى يرسم النموذج شاخصا من خلال اللمسات ؛ فتارة تكون هذه النماذج صورة للجنس الانساني كله ونحن نستعرض هنا بعض هذه النماذج استعراضا سريعا على طريقة عرضها في القران الكريم قال تعالى:(واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون)(٢). فهذا النموذج يكثر في كل المجتمعات الانسانية فعند الشدة تجده يدعو ويبتهل ، وعند الرخاء تجده ناسيا مبتعدا كأن لم يكن شيء من قبل . ومنها مايكون نموذجا للانسانية الخاصة ذلك المخلوق ضعيف العقيدة يتمسك بعقيدته ما نال الخير منها ، فإذا أُوذي فيها تزعر وحاد عنها مثاله قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين)(٣)،

(١) التعبير الفني في القران ، بكرى الشيخ امين ، ج ١ - ص ٢١٩

(٢) يونس : ١٢

(٣) الحج : ١١

ب - النساء : من استعراضنا لشخصيات النساء الواردة في قصص القرآن، نلاحظ انه يعبر عنها بالمرأة دائما ، وسواء في ذلك المتزوجات وغير المتزوجات ، فهي ان كانت متزوجة امرأة فلان ، كأمرأة نوح وأمرأة لوط وامرأة ابراهيم وامرأة عمران وامرأة العزيز وامرأة فرعون وان كانت غير متزوجة اطلقت من هذا القيد فملكة سبأ ((امرأة تحكيم)) وابنتا الشيخ ((ووجد من دونهم امرأتين تزدودان))(١). ومرة واحدة يعدل القرآن الكريم عن هذه الطريقة الى التسمية المباشرة وذلك عند حديثه عن مريم ، ولم يكن ذلك لما اختص به المقام من اسباب ودواع دعت الى ذلك فقد كان القوم يعتقدون ان عيسى ابن الله ، وكان القرآن يحاول القضاء على تلك العقيدة الباطلة ويثبت مكانها امرا اخر هو انه ابن مريم وانه ولد من غير اب ، وان مثله في ذلك كمثل آدم عليهما السلام(٢) وللمرأة نصيب من الاهمية في القصة واضحة الصورة متميزة المعالم ولكل منها طابعها الخاص .

((على ان القرآن يذكر المرأة على انها تمثل قطاعا وواقعا من الحياة .. من شأنها ان تسمو بالنفوس وبالأخلاق وبالمدارك .. وليس بأن تجلب الرواد والقصاد ضياعا للوقت واستنفاذا للمال وامتاعا بالدون الرخيص . فهو يسوق الحادث فتكون فيه المرأة . فلا يحول دون ايفائها قسطا منه. ووضعها في الموضع الحق من القصة المعروضة . فالمرأة لاتكون شيئا مقصودا لذاته بحيث تكون محورا تدور حولها احداث القصة ، او تستجلب استجلابا لتؤدي دور التشويق والاثارة والترفيه حتى في قصة يوسف عليه السلام كانت ((زليخا)) او امرأة العزيز في جميع مواقفها وتحركاتها من القصة.. وهي المرأة التي تدعو اليها جميع دواعي الحال ويقتضيها المقام ، ولهذا فإنها كما كانت لونا زاهيا مشعا في القصة . كانت كذلك لونا باهتا قائما في اكثر من موقف . ينتهي دورها حيث تغادرها القصة ويسدل عليها الستار . لينفرج مرة اخرى على ماسيقت له القصة من شأن يوسف وابيه واخوته .(٣)

(١) الفن القصصي في القرآن ، محمد احمد خلف الله ، ج١ - ص٣١٣

(٢) المصدر نفسه ، ج١ - ص٣١٨

(٣) بحوث في قصص القرآن / الدكتور عبد الحافظ عبد ربه/٧٢

(ج) الأرواح الخفية

- (أ) - الملائكة : ((اجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكلات بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الافعال الشاقة شأنها الطاعات وسكنها السموات هم رسل الله تعالى ، وامناؤه يسبحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون)) (١)
- والملائكة في القصة يتمثلون في الصورة البشرية ولا يفتن اليهم غيرهم الا بعد مرحلة من المراحل القصة ، في قصة ابراهيم ولوط وفي قصة زكريا ومريم ، ونعتقد ان ذلك في قصة داود عليه السلام (٢)
- فمن واجبات الملائكة تثبيت رسل الله وتأييدهم والتهوين عليهم عليهم في شدتهم. والملائكة تنزل على المؤمنين لتؤنسهم وتبشرهم كما ان الله تعالى يمد المؤمنين بالملائكة عند قتال الأعداء لينصرهم عليهم .
- قال تعالى : (واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) (٣)
- (ب) **الجان** : ورد عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال : ((خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار)) (٤)

(١) شرح المقاصد ، سعد الدين التفتاراني ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ، ١٩٨٩م ، ٣/٣٦٨

(٢) الفن القصصي في القرآن ، محمد باحمد خلف الله ، ٢٩٩م ،

(٣) ال عمران / ٤٢ - ٤٢

(٤) صحيح الأمام مسلم بن الحجاج ابو الحسين ابو القشيري النيسابوري - دار احياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ٢٢٩٤ / ٤

(ج) - الطيور والحشرات :

وقد وردت في ثنايا قصص الانبياء السابقين وكانت لهم عبارات وحوارات يسلم القرآن الكريم الضوء عليها وان كانت ادوارها ادوار ليست رئيسة في القصة .

ونلاحظها في قصة واحدة هي قصة سليمان في سورة النحل ، فنرى الهدد ونرى النملة ونلاحظ انهما تقومان بما تقوم به الشخصية البشرية في القصة . اما النملة فتحذر اخوتها وتخيفهم من ان ينالهم الشر او يصيبهم الأذى ولذا تطلب اليهم دخول المساكن حتى لا يحطمهم سليمان وجنوده : (حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) (١).

واما الهدد فيقف من سليمان عليه السلام موقف المطلع الذي يعرف من اخبار الممالك مايجهله النبي ، فالهدد هنا يقظ منتبه لكل ما يدور من الملكة وقومها من الناحية الدينية وهو يعجب من عبادتها الشمس وسجودها لها من دون الله ، ويرى ان الشيطان هو الذي زين لها هذا العمل وصددها وقومها من السبيل . بل يمضي الى ابعد من هذا فيلفت الذهن للأسباب التي تدفع الى عبادة الله من اخراجه الخبء ومن عمله بما يخفي الناس وما يعلنون (٢) ويبقى القول القول ان تصوير الشخصيات في القصص القرآنية خاصة في العهد الاول ، العهد المكي ، لم يكن بالامر الذي يعني به .. فقد كان القوم يهتمون بالحادثة اكثر من اهتمامه بالبطل ويهتمون بالفكرة والرأي من اهتمامهم بالاشخاص (٣)

(١) النحل / ١٨ - ١٩ .

(٢) الفن القصصي في القرآن ، محمد احمد خلف الله ، ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣٢٢

المطلب الثاني الأحداث في القصة القرآنية

الأحداث

الصلة بين الأحداث والشخصيات في القصة اقوى من ان يدلل عليها او يلفت الذهن اليها . ذلك لانها العنصران الرئيسيان في كل قصة . ثم نحن لا نستطيع ان نتصور شخصا من غير احداث تلم به او تقع عليه . الا ان توزيع العناصر في القصة القرآنية كان يتطور بتطور الدعوة الاسلامية ويجري معها في مضمار . ومن هنا نرى الاحداث هو العنصر البارز في الاقاصيص التي يقصد منها التخويف والانذار (١) ((فالتربية بالاحداث تعرف بقوة تأثيرها ، وشدة سيطرتها على النفس والفكر لانها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما ، عن طريق الحس ، ان كانت هذه الظاهرة خارجية او عن طريق التأمل ان كانت داخلية ، وفي القران اشارات الى احداث توجه الى الحس والتأمل معاً كما في هذه الآية (ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا) (٢) كما تثير بعض الاحداث الخوف الرادع من العقاب المماثل . بل انه مما يبعث على الايمان بقوة الله القاهرة ، والشعور بمراقبة البواعث والدوافع ، وما ينجم عن تلك المراقبة من انتهاج سبيل الفوز والنجاة .

(١) ينظر الفن القصصي القران ، محمد احمد خلف الله ، ٢٩٣ .

(٢) الفرقان / ٤٠ .

المطلب الثالث

الحوار في القصة القرآنية

أولاً : الحوار المباشر :

القصص القرآني يعتمد على الحكاية غالباً ، حكاية القائلين ، اذ ان حكاية المقولات دون ان تحمل ملامسات الموقف مسقط للعمل القصصي فنياً . والحوار في القرآن الكريم نوعان : حوار شبه عقلي يميل الى الجدل غير القصصي ، وهو ذو مقصد ديني في اخبارنا عن لجاج الامم السالفة ، مثل قوم عاد ، وثمود ، وشعيب ، وحوار قصصي تجد القرآن به وحده يجعل المشاهد جاهزة مشخصة قادرة على ملء الفراغات التي تقع اثناء الحوار ((بالحوار المباشر حيناً ، وغير المباشر احياناً ، والمتسلسل المتساوق الذي لا يترك امراً الا وتحدث به ، والمنقطع الذي يترك بعض الفجوات للقارئ او السامع ليملاها من طبيعة تفكيره)) (١) .

والحوار بهذا المعنى دليل الحركة المستمرة وحياة واستمرار الاحداث . اذ تصبح القصة دونه ميته لاحتراك فيها فهي جزء من اسلوب التعبير في القصة .

فأمثلة المتسلسل المتساوي الذي لا يترك امراً الا تحدث به قصة مريم عندما يتحدث عن طريقة حملها وولادتها للمسيح والاحداث التي جرت . والمنقطع الذي يترك بعض الفجوات للقارئ ، ما حدث في قصة موسى : قال تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . ان ارسل معنا بني اسرائيل . قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين) (٢)

فهذا الانقطاع في المشهد من رجوع موسى الى أهله ومجيئه الى فرعون كل هذا الامور تركها القرآن للقارئ على ما نراه خلال هذه القصة

(١)التعبير الفني ، الدكتور بكرى شيخ امين ، ٢٢١ .

(٢) الشعراء / ١٧ - ٢٠ .

(كذبت قوم لوط المرسلين . اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون . وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) (١)

فكما قلنا ان العناصر سيقت من اجل اهداف واغراض فهذا النص يتكرر مع الانبياء جميعا فأنهم هم الناصحون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فمن أطاع فلنفسه ومن عصى فأنا على الرسول البلاغ . فهي ما يره لنفسيه النبي صلى الله عليه واله وسلم لتجعله مطمئناً بأن الذي يلاقيه قد كان فيمن قبله من الرسل ايضا من الاعراض وغيره . ((واما التربية بالحوار فأكثر ما نكون في القصص الطويلة تتسع للجدال ، والقران يختار من هذا الجدل لقطات من الاقوال الموجهة ، فيصوغها في عبارات موجزة بليغة تفيض حكمة ورشاً فيما يجري على السنة الهداة ودعاة الحق الذين يسلكون في الحوار مسلك الحكماء ، او ضلالا وزيغا فيما تتضح به القلوب المريضة والنفوس المنحرفة))(٢)

جسدا له

(١) الشعراء / ١٦٠ - ١٦٤ .

(٢) ينظر سيكولوجية القصة في القران ، الدكتور تهامي ثغرة ، ٥٨٦ .

جاء الحوار في القرآن الكريم على اشكال متعددة اتسمت بما يأتي :

١- **التنوع** : حيث نلاحظ ان الحوار في القرآن الكريم لم يقتصر على نوع معين كالعقيدة او الدين عامة ، بل شمل كل اوجه الحياة دينية كانت او اجتماعية سياسية او غير ذلك . ومعنى ذلك ان المحاوره لم تأتي في القرآن عرضاً ، ولم يستدعها سياق لغرض معين ، وانما هي غرض اساسي من اغراض القرآن واسلوب محدد من اساليبه التي يهدف الى تحقيق اهدافه الشاملة لكل جوانب الاصلاح عامة ، سواء أكانت فردية ام جماعية .

٢. **الاعتماد على العقل** : وهو اتجاه واضح في كل أساليب محاوره القرآن الكريم وطبيعة هذا الاعتماد ان الاسلوب يتجه الى ابراز الحجة والمنطق العقلي ، ويتابع التسلسل المنطقي مهما بلغ من الصور الافتراضات التي تتنافى مع اسس القرآن . حتى اننا نجد الله تبارك وتعالى ذاته يوجه نبيه في حوارهم مع المشركين الى ان يفترض لهم ان هناك الهة اخرى مع الله ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة : (قل لو كان معه الهة كما يقولون إذا لالبتغوا الى ذي العرش سبيلا) (١)

وكما يقولون : (لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدنا) (٢) . وهكذا نجد اسلوب المحاوره في القرآن الكريم يعتمد على العقل المجرد - اثناء المحاوره - من دون التأثير بأي عامل او مؤثر خارج المحاوره وهو أقصى ما يكون ان يطلبه او ينتظره مفكر يدعي الحرية في فكره ، او باحث يدعي التجرد من التعصب والانحياز (٣)

وقد ضرب ابراهيم عليه السلام أمثلة باهرة في هذا المجال كما سنرى في حديثه الخاص به ، بل بلغ بإبراهيم التجرد في محاورته مع المشركين الذين يعبدون الكواكب ان افترض في حوارهم انه يعبد كوكباً مثلهم قال تعالى : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنني بريء مما تشركون) (٤)

(١) الاسراء / ٤٢ .

(٢) الانبياء / ٢٢ .

(٣) اسلوب المحاوره في القرآن الكريم ، د. عبد الحلیم حفني ، ٣٠ .

(٤) الانعام / ٧٦-٧٨

((صورته لنا وهو يحاور اباه في معبوده ، ويقنعه ان يهجر عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً ، وينهاه عن عبادة الشيطان ، لأنه يخاف عليه ان يمسه عذاب من الرحمن ، ويكون للشيطان ولياً)) (١). ((وغرض التجرد نفي وجود اي مؤثر على المحاوره غير العقل ولسنا نريد الخوض في هذه التفاصيل التي لا تقصد لذاتها وانما للتمثيل عليها على ان المحاوره في القران طابعها الاعتماد على العقد)) (٢)

٣. **تحديد الغاية وتوضيحها :** يهتم حوار القران الكريم بأبراز الهدف الذي تدور حوله المحاوره مع التركيز الشديد على ان يكون الهدف واضحا ومحددا ومقبولا من النفوس والمشاعر بعد اجتيازه مرحلة القبول العقلي (٣) .

٤. **الرفق بالمهزوم :** وحديثنا عما يلي هذه المرحلة انتصار القران او من يمثله في المحاوره وهزيمة خصمه ، وعندئذ نقول ان الملحوظ في محاورات القران احتفاظها دائما بالرفق بالخصم في كل الاطوار ... ونلاحظ في القران التركيز على اعلان النتيجة وابرازها لانها محور الخصومة وهو مقصود القران وهو نشر الدين نفسه ، فأن نتائج محاورات القران هي الدين نفسه.

ان محاوره القران لاتهدف الى النيل منه وايدائه وقد يلتمس لذلك اكثر من سبب فمن ذلك:
اولا: ان القران الكريم لا يعنى كثيرا بالاشخاص كثروا أو قلوا الا بمقدار اعتراضهم طريق نشر الدين .

(١) التعبير الفني في القران ، الدكتور بكري شيخ امين ، ٢٢٠ .

(٢) اسلوب المحاوره في القران ، د. عبد الحليم حفني ، ٣١ .

(٣) المصدر نفسه / ٣٥ .

ثانياً : ان القرآن الكريم ليس الا داعياً الى الله فهو يريد ان يجذب كل الناس اليه بما فيهم هؤلاء الخصوم وايداء هؤلاء الخصوم قد يزيدهم بعدا عنه بينما هو يريد ان يقربهم اليه .

ومن امثلة ذلك محاوره ابراهيم عليه السلام مع المشركين من عبدة الكواكب وتدرجه العقلي والنفسي معهم حتى وصل تقمصه عبادة الشمس معهم : ((فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا الاكبر)) ثم يصل الى نتيجة حيث كان قد وصل الى اعترافهم واقناعهم بأن الاله لا يغيب ولا ينبغي ان يغيب ، واذا الشمس التي يعبدونها معهم افتراضاً على انها الاله تغيب ، فيبرز حينئذ النتيجة والتعقيب عليها وتوضيحها : ((فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون)) (١) .
اشارة عابرة لا يقصد منها الا البسط والتحليل ، فتقول فلننظر في التركيز على النتيجة كيف ان ابراهيم في هذه الكلمات الموجزة راعى كثيراً من النواحي :

اولاً : المحافظة على صلته بالخصوم ، وتقربهم اليه بقوله ((يا قوم)) آملاً في كسب ايمانهم .
ثانياً : اعلن الحكم على عباداتهم للكوكب ، وهي انها شرك ((مما تشركون)) .

ثالثاً : اعلن استنكاره لهذا الشرك : ((اني بريء مما تشركون)) .

رابعاً : بين لهم البديل الصحيح الذي يجب ان يتجهوا اليه بدل الشرك وهو الايمان بالله ((اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض)).

خامساً : بين لهم قدراً كافياً من مزايا الاله الواحد الذي يدعوهم اليه يكفي انه : (فاطر السموات والارض) .

سادساً : يخشى ابراهيم اللبس والتأويل كأن يقولوا نعبد الله الذي تدعوننا اليه ، ونعبد معه الهتين فيقول لهم انه يأبى أي شرك مع الله (وما انا من المشركين) .

كل هذا التركيز والتوضيح منصب على الغاية لابرازها وتحديدها وتوضيحها . ومن البديهي ان غاية المحاوره السابقة اثبات وحدانية الله (٢) .

(١) الانعام / ٧٨ .

(٢) ينظر اسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د. عبد الحليم حفني ، ٣٧ .

ومن الامثلة على هذا الحوار : قصة مريم تبدأ القصة ومثيلاتها بأهم الأحداث التي من شأنها ان تضيف للقصة رونقاً معيناً وجمالاً يتعلق أوله بآخره فيكاد لا ينفصل أجزاء بعضها عن بعض .

قال تعالى : (قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كا لأنثى وإني أعوذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) (١)

ثانياً : الحوار الداخلي (المنولوج) (٢)

ومن المحاورات ما كانت محاورة نفسية خالصة وذلك بعد اعادة النظر في أي القران المتعلق منها بالقصص خاصة ، وجد ان اسلوب القص بأستعمال ((المنولوج)) يتمثل في بعضها .

فالامثلة على ذلك كثيرة منها ماهو ((منولوج)) بلا مجال للشك في ذلك ومنها ما يمكن ان يكون حوارا داخلياً او حديثاً عادياً لكن الأرجح ان يكون الاول ومن حديث النفس المصرح به انه حديث نفس قول ابراهيم في سورة الانبياء بعد ان حطم اصنامهم وطلب منهم ان يسألوهم من فعل ذلك بها .

قال تعالى : (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) (٣) . فهذه المقولة حصلت في داخل النفس بدليل انهم رجعوا الى انفسهم ولو كان خطاباً لقال القران الكريم كما هو معهود منه (فرجعوا الى بعضهم) او هذا القبيل (٤)

(١) ال عمران / ٣٥ - ٣٧

(٢) أ - مناجاة المرء نفسه على المسرح

ب - مشهد مسرحي يؤديه ممثل واحد

(٣) منولوج ادبي

(٤) حديث طويل يحتكر فيه الشخص واحد الكلام أثناء محادثة ص ٥٨٣ / معجم الرافدين / نخبة من الاساتذة / ١٩٩٠ م .
بغداد

ومنه قوله الله تعالى على لسان نبي الله عزير (صلى الله عليه واله وسلم) (قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته مائة عام ثم بعثه) (١)

وكذلك ورد هذا الاسلوب في المحاوراة الذاتية على لسان نبي الله لوط : قال تعالى ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب (٢). وها انت تجده على لسان نبي الله أبراهيم . قال تعالى (فلما رأى أيدهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) (٣). ولما كانت الامثلة كثيرة في هذا الباب اکتفينا بشرح هذه الاية السابقة قاصدين اظهار ما أردنا توضيحه من هذا الاسلوب في المحاوراة قال تعالى : (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فأنظر إلى طعامك وشاربك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) (٤)

ان القائل ليعرف ان الله هناك ولكن مشهد البلى والخواء ووقعة العنيف في حسه جعله يحير : كيف يحيي هذا الله بعد موتها وهذا اقصى ما يبلغه مشهد من العنف والعمق في الايحاء وهكذا يلقي التعبير القرآني ظلاله وايحاءاته ، فيرسم المشهد كأنما هو اللحظة شاخص تجاه الابصار والمشاعر .

(أنى يحيي هذه الله بعد موتها) كيف تدب الحياة في هذه الأموات (٥) . قال مجاهد : واما القرية فالمشهور انها بيت المقدس مر عليها بعد تخريبها بختنصر وقتل اهلها ...

(١) البقرة / ٢٥٩

(٢) هود / ٧٧ .

(٣) هود / ٦٩ - ٧٠ .

(٤) البقرة / ٢٥٩ .

(٥) في ظلال القران ، سيد قطب ، ٣ / ٤٢ .

وذلك لما رأى من دثورها وشدة خرابها وبعدها عن العود الى ما كانت عليه (١) فهذا المحاوره التي اجراها هذا المار على القرية في النفس قصها لنا القران الكريم وحفضها لنا حتى اصبح اسلوبا من اساليبه في معرض سرد القصص من هذا النوع من الحوادث والاحداث .

لم يلتزم القران الكريم اسلوباً فردياً في تشكيل البنية الحوارية في قصصه فهو يذهب فيه كل مذهب ويلونه الوانا مختلفة حسب مقتضى الحال فهو حيناً يفصل واحيانا يختصر . فكما قلنا الحوار في القران محرك محي للأحداث قال تعالى : (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ . فلما رأى ايديهم لا تصل إليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا ارسلنا إلى قوم لوط) (٢)

(١) تفسير القران العظيم ، ابن كثير ، تفسير العظيم - الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت

المبحث الثالث

الخصائص الفنية في القصة القرآنية

أولاً : تنوع أسلوب الاستهلاك في القصة .

ثانياً : تكرار السرد بأساليب مختلفة .

ثالثاً : العرض التمثيلي .

رابعاً : التصوير الفني .

المبحث الثالث

الخصائص الفنية في القصة القرآنية

تقوم القصة في القران الكريم على اسس وخصائص فنية رائعة ، يطول بنا الحديث لو دخلنا في شرحها وتحليلها الا ان ذلك لا يمنعنا من ذكر بعض خصائص القصة القرآنية من الناحية الفنية :

اولاً : تنوع اسلوب الاستهلال في القصة ووضع المدخل اليها :

المعلوم ان اهم مظاهر التشويق في القصة ينبغي ان يكون متجمعاً وبارزاً في مطلعها حتى يندفع القارئ بذلك الى المضي في استطلاعها والتأمل في مختلف مراحلها .

فالقصة في القران ، تبدأ في كثير من الاحيان بأغرب مشهد يلفت النظر فيها ، حتى اذا اثار ذلك انتباه القارئ انطلق البيان القرآني في عرض مشاهدتها المتلاحقة كافة .

وقد يكون هذا المشهد الذي اقيم في مدخل القصة متأخر من حيث سلسلة الوقائع والاحداث المتلاحقة فيها فيعمد البيان القرآني العظيم الى استدراك ما تركه من قبل ، ويعرضه خلال القصة بمناسبة ما في اطار يزيد من جمال العرض وروعته . ولتقرأ مثلاً لذلك قصة موسى وفرعون في اول سورة طه ، انظر الى هذا المشهد الذي افتتح به مدخلا للقصة :

قال تعالى : (وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلني أتيكم منها بقس أو جد على النار هدى) (١)

لا ريب انه كما ترى مشهد يلفت النظر ويبعث على الانتباه واتطلع الى ما وراءه ، ولكن البدء ، به فوتت - كما ترى - على القارئ ما سبق ذلك من الاحداث فاستدركها البيان القرآني في ثانيا العرض يصورها للقارئ وكأنها قصة ضمن قصة ، وانظر كيف جاءت المناسبة وكيف عادت القصة الى عرض الاحداث من اولها بمناسبة معينة .

(١) طه ٩ - ١٠

فعندما ذهب موسى الى حيث رأى النار المشتعلة سمع هناك نداء الله عز وجل يكلمه ويضعه امام مسؤولية الرسالة التي سيكلف بها . فيقول موسى انه وحده ضعيف عن تحمل هذه المهمة الشاقة ، فليكن اخوه هارون معيناً له ومساعداً في ذلك . فيجيبه الله الى ذلك ويذكره ممتناً بنعمه التي اسبغها عليه منذ ولادته الى اليوم وهكذا تأتي المناسبة وتعود القصة من اولها بهذا الشكل : قال تعالى (قال قد اوتيت سؤلك ياموسى . ولقد مننا عليم مرة أخرى . إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى . أن اذفيه فب التابوت فاقدفيه في اليم فليلقيه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني . إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى) (١)

ولعله لا يخفي ان هذا الاسلوب في عرض القصة يعد من خير الاساليب الفنية في اخراج الروايات والقصص كتابة وتمثيلاً ..

فبعض القصص يحتاج الى طريقة اخرى في الاستهلال والعرض ، فمن ذلك ان ينتزع اهم مظاهر العبرة من القصة ، فتصاغ بشكل خلاصة لها ، ثم يوضع تمهيدا ومدخلاً اليها (٢)

((ان الطريقة التي اتبعت في عرض القصة من الناحية الفنية هي طريقة التخليص الاجمالي أولاً ثم العرض التفصيلي اخيراً . وهي تعرض في مشاهد وتترك بين المشاهد فجوات يعرف ما فيها من سياق وهي تبدأ هكذا)) (٣)

(١) طه / ٣٦ - ٤٠ .

(٢) من روائع القران ، البوطي ، ٢٣٧ - ٢٤٠ .

(٣) في ظلال القران ، سيد قطب ، ١٥ / ٣٧٤ .

ثانياً : تكرار السرد بأساليب متنوعة

ان القرآن الكريم يقص علينا انباء الغيب التي جرت بين رسل الله واممهم ، وما حصل بينهم من طاعة او عصيان ، وكيف كانت عاقبة المكذبين مصححاً ما نقله التاريخ خطأ او زاد فيه على الحاصل ، في دقة متناهية وتفصيل معجز . كما يقص علينا ايضاً من احوال الماضين ما فيه عبرة للحاضرين ومن بعدهم ، وهو في كل هذا يشير الى موضع العبرة من سوق القصة كاشفاً وجه الحكمة في الاخبار لها ، من البشارة او النذر ، التدليل على صدق القرآن ومنزله جل ذكره ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وانه اية على نبوته وارساله من قبل الحق جل ذكره (١). ولعل ذلك من الاسباب التي من اجلها تكررت قصص الانبياء في القرآن . فذكره قصة نوح عدة مرات ، بالاطناب احيانا ، والايجاز احيانا وذكرت قصة ابراهيم عدة مرات ، وذكرت قصة موسى عدة مرات ... الخ ، وانه يبدو بادئ الرأي اذ ذلك من تكرير القول فما وجه البلاغة في هذا التكرار لقصص الانبياء؟

اننا اذا نظرنا نظرة فاحصة تليق بمقام القرآن ، ومكانته في البيان العربي نجد ان التكرار فيه له مغزى ، ذلك ان القرآن ليس كتاب قصص وليس كالروايات القصصية التي تذكر الحوادث المتخيلة او الواقعية انما قصص القرآن ، قصص لامور واقعة يساق لعبر ، واعطاء المثالات ، وبيان مكان الضالين ومنزلة المهتدين ، وعاقبة الضلال وعاقبة الهداية ، وبيان مايقوم به النبيون وورائهم كل الدعاة للحق فهو قصص للعبرة بين الواقعات لا مجرد المتعة من الاستماع والقراءة (٢) . ولذلك قال تعالى :

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب) (٣) . كما ان القصص القرآني لون من تعريف البيان القرآني وتفسير اشكاله وفي ذلك يقول الله الحق سبحانه :

(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل ثمن) (٤)

(١) دراسات في التفسير الموضوعي / القصص القران / الدكتور احمد جمال العمري ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ٣

(٢) دراسات في التفسير الموضوعي ، احمد جمال العربي ، ٤

(٣) يوسف/ ١١١

(٤) الكهف / ٥٤

ومن ذلك ((ان القران يتناول من القصة الواحدة في كل مرة جانبا معيناً فيها ، وهو الجانب الذي تستدعيه المناسبة ، وقد يحدث ان يتكرر عرض القصة نفسها او عرض الجانب الواحد منها ، بحسب الظاهر ولكن تلك القصة او ذلك الجانب منها ينطوي على عبر وعظات متعددة ، فيقتضي الغرض الديني ان يعاد ذكرها عندما تأتي مناسبة كل عبرة من عبرها ، فتلبس القصة في كل مرة من الاسلوب والاخراج التصويري مايناسب المعنى الذي سيقى بصدده ، حتى لكأنك امام قصة جديدة لم تتكرر على مسامعك ولم تعرض احداثها على خاطرك من قبل)) (١) .

وحين يقرأ الانسان هذه الحلقات المكررة ملاحظا السياق الذي وردت فيه ، يجدها مناسبة لهذا السياق تماما، في اختبار الحلقة التي تعرض هنا، او تعرض هناك ، وفي طريقة عرضها كذلك . ويجب ان نذكر دائما ان القران كتاب دعوة دينية ، وان التناسق بين حلقة القصة التي تعرض ، والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم (٢) .

ان الغرض الديني هو الذي يملي اعادة القصة ، ولكنها في هذه الاعادة تلبس اسلوبا جديدا يناسب السياق الذي وردت فيه ، وتهدف الى هدف خاص، لم يذكر في مكان اخر ، حتى ، لكأننا امام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل (٣) .

فالتكرار لحكمة الهية ايضا : اذ بعض العقليات لا تعقل الا بالاسهاب والتطويل ، وبعضها يكفيها الايجاز والتركيز لذا جاء القصص القراني بالحالتين مراعاة لهذه العقليات النختلفة حتى تتمكن حقائق الدين في نفوس الناس جميعا (٤) .

والتكرار ايضا من افضل سبل الاقناع واغوى الوسائل لتركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية وقد فطن اصحاب الدعايات ووسائل الاعلام الى التكرار في دعاياتهم مع التنوع في عباراتها للوصول الى اهدافهم (٥) .

(١) من روائع القران / محمد سعيد رمضان البوطي ، ٣٢١ - ٢٣٢ .

(٢) التعبير الفني في القران / الدكتور بكرى شيخ امين ، ٢١٧-٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢١٨ .

(٤) القصة في القران ، الدكتور محمود بن شريف - المكتبة القرانية ، دار ومكتبة الهلال - بيروت لبنان - ١٩٨٣ ، ٨٣ .

(٥) روح الدين الاسلامي / عفيف طيارة - دار العلم للملايين ، بيروت لبنان - عفيف طيارة ط ١٠ - ١٩٧٣ ، ٤٠ .

ثالثا : العرض التمثيلي

الخاصية الثالثة : العرض التمثيلي يعتمد على ابراز المشاهد جلية امام الناظر او المتخيل ،
ويطوي ما بينهما من الروابط البديهية اعتمادا على سير الخيلة وتصويرها .

ونحن نعلم ان القصة اذا ما أريد عرضها بأسلوب تمثيلي حي، فلا بد فيها من طي تلك الاحداث
التي يفرضها الفكر والخيال بالبداهة ، بل ان القيمة الفنية للقصة وحيويتها تقل كثيرا اذا ماشغل
فكر الناظر او السامع بالحديث عن تلك الروابط وتباينها . والقصة القرانية قائمة على هذه السمة
والنهج دائما مهما كانت القصة او كان موضوعها . انظر مثلا الى قصة نوح التي وردت في
سورة هود وانتبه الى قوله جل جلاله :

(وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع
الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ
من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) (١) . فأنت تجد نفسك في اول هذه الايات امام الاخبار
اللاهي الذي ينزل على نوح بشأن قومه وامره اياه بأن ينصرف الى انشاء سفينة لينجو بها مع
القلة من اصحابه المؤمنين فان قومه مقدمون على هلاك بطوفان ثم يسدل الستار على هذا
المشهد ليبرز من وراءه مشهد آخر ، تبصر فيه نوح عليه السلام وهو منهمك في صنع السفينة ،
ولا ريب ان بين المشهدين احداثا طوتها القصة وهي عزم نوح على القيام بهذا الامر واستحضار
المواد والوسائل لذلك . لكنها جزئية يستقل بها الخيال فلا ينبغي ان يفسد بذكرها عرض القصة
وهاهي الآيات تصور لنا كل هذه الامور قال تعالى: (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه قال ان تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) (٢) .

(١) هود / ٣٦ - ٣٩

(٢) هود / ٣٨ - ٣٩

رابعاً : التصوير الفني :

التصوير هو الاداة المفضلة في اسلوب القران ، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية . ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحيلة الشاخصة ، والحركة المتجددة . فإذن المعنى الذهني هيئة او حركة ؛ واذا الحالة النفسية لوحة او مشهد . واذا النموذج الانساني شاخص حي ، واذا الطبيعة بشرية مجسمة مرئية (١) .

فأما الحوادث المشاهد ، والقصص ، والمنظر ، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة ، وفيها الحركة ، فإذا اضاف اليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل . فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلا الى مسرح الحوادث الاول ، الذي وقعت فيه او ستقع ، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات وينسى المستمع ان هذا كلام يتلى ، ومثل يضرب ، ويتخيل انه منظر يعرض ، وحادث يقع فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو ، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات ، المنبعثة من الموقف ، المتساوقة مع الحوادث ، وهذه كلمات تتحرك بها الالسنه فتنم عن الاحاسيس المضمرة انها الحياة هنا ، وليست حكاية الحياة (٢) . فأسلوب القران عند ذكر قصة من القصص ، لا يخبرك اخبارنا ولكنه يمر بشريط حي لها على مخيلتك واحساسك ... فإذا كان ذلك جليا في بحوث القران عامة فإنه ليزداد جلاء وقوة عند عرض قصة او مشهد من خبر(٣)

فإذا ما ذكرنا ان الاداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية ، وتشخص النموذج الانساني او الحادث المروري ، انما هي ألفاظ جادة ، لا ألوان تصور شخوص تعبر ادركنا بعض اسرار الاعجاز في تعبير القران (٤) .

(١) التصوير الفني في القران / سيد قطب ، دار المعارف في مصر ، ط٤ دبت ، ٣٤

(٢) المصدر نفسه .

(٣) من روائع القران ، محمد سعيد رمضان البوطي ، ٢٣٧

(٤) التصوير الفني في القران ، سيد قطب ، ٣٥

بوساطة التصوير تخرج المعاني الذهنية في صورة حسنة(١) . فمثلا :

١- يريد ان يبين ان الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله ولن ، يدخلوا الجنة اطلاقا ، وان القبول او الدخول مستحيل . هذه هي الطريقة الذهنية للتعبير عن هذه المعاني المجردة . ولكن اسلوب التصوير يعرضها في الصورة الاتية :

قال تعالى : (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)(٢) .

٢- يريد ان يبين الله تعالى ابطال اعمال الذين كفروا كأن لم تكن قبل شيئا ، وستضيع الى غير عودة فلا يملكون لها ردا ، فيقدم هذا المعنى مصورا في قوله:(وقدما الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)(٣) .

٣- ويريد ان يبرز : ان الله وحدة يستجيب لمن يدعوه وينيله ما يرجوه وان اللالمة التي يدعونها مع الله لا تملك لهم شيئا ولا تنيلهم خيرا ولو كان الخير قريبا ، فيرسم لهذا المعنى هذه الصورة العجيبة :

قال تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال)(٤)

* ومن ذلك ايضا انه يصور المعاني المجردة صور الحالات النفسية والمعنوية ومن الامثلة له :

قال تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة)(٥) . فهنا يريد ان يوضح حالة تززع العقيدة ،

(١) التصوير الفني في القران ، سيد قطب ، ٣٥

(٢) الاعراف / ٤٠

(٣) الفرقان / ٢٣

(٤) الرعد / ١٤

(٥) الحج / ١١

حيث لا يستقر الانسان على يقين ، ولا يحتمل ما يصادفه من الشدائد بقلب راسخ ولا يجعل عقيدته في معزل عن ملابسات حياته ، بعيدة عن ميزان الربح والخسارة فيرتسم لهذا التزعزع صورة تهتز وتترنح ، وتوشك على الانهيار . ان الخيال يكاد يجسم هذا ((الحرف)) الذي يعبد الله عليه هذا النفر من الناس وانه ليكاد يتخيل الاضطراب الحسي في وفتهم ، وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب ، وان هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع ، لانها تنطبع في الحس ، وتتصل منه بالنفس (١) .

وشبيهة بهذه الصورة صورة اخرى ، لمن يقيم بنيانه على غير التقوى :

قال تعالى: (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين) (٢) .فهنا قد اكمل الحركة الاخيرة التي كانت متوقعة هناك ((فانهار به في نار جهنم)) وبذلك طوى الحياة الدنيا كلها ، دون ان يذكر ولو كلمة (ثم) في موضع (الفاء) ((فانهار)) لان هذا المدى الطويل قصير حتى لاضرورة لهذا التراخي القصير .

اولا : ومن بين الحالات النفسية التي يصورها القران ، ما يرسم نموذجا انسانيا واضحا للعيان (٣) فمثلا :

١- يريد ان يشخص حالة العناد السخيف ، والمكابرة العمياء التي لايجدي معها حجة ولا برهان ، يبرز نموذجا انسانيا في هذه الكلمات ، قال تعالى : (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون) (٤)

(١) التصوير الفني ، سيد قطب ، ٤٢

(٢) التوبة / ١٠٩

(٣) التصوير الفني ، سيد قطب ، ٤٣

(٤) الحجر / ١٤-١٥

٢- ويريد ان يبين ان الانسان لايعرف ربه الا في ساعة الضيق ، حتى اذا جاءه الفرج نسي الله الذي فرج عنه ، ولكنه لا يقولها في مثل هذا النسق الذهني انما يرسم صورة حافلة بالحركة المتجددة ، والمشاهدة المتتابعة ، ويرسم من خلالها نموذجا انسانيا كثير التكرار في بني الانسان :

قال تعالى : (هو الذي سيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما انجاهم اذا هم يبيغون في الارض بغير الحق ياأيها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) (١) .

ثالثا : ومايرسم لنا شطرا من قصص حقيقية :

ولعل اروع مانراه في مثل هذه الرسوم مايرسمه لنا القران الكريم من تصوير لمشهد من قصة الطوفان : قال تعالى : (وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) (٢) وفي هذه اللحظة الرهيبة تنتبه في نوح عاطفة الابوة ، فأن هناك ابنا له لم يؤمن ، وانه ليعلم انه مغرق من المغرقين ، ولكن ها هو ذا الموج يطغي ، فيتغلب ((الانسان)) في نفس نوح على ((النبي)) ويروح في لهفة وضراعة ينادي ابنه جاهزا : (وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) (٣) . ولكن البنوة العاقلة لاتحفل بهذه الضراعة ، والفتوة العاتية لا ترى الخلاص الا في فتوتها: (قال سأوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) (٤)

(١) يونس / ٢٢-٢٣

(٢) هود / ٤٢

(٣) هود / ٤٢

(٤) هود / ٤٣

وها هي ذا الابوة الملهوفة ترسل النداء الاخير : (قال سأوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) (١)
وفي لحظة تتغير صفحة الموقف ، فها هي ذي الموجة العاتية تبتلع كل شيء : (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)

ان السامع ليمسك انفاسه في هذه اللحظات القصار : (وهي تجري بهم في موجكالجبال) ونوح الوالد الملهوف يبعث النداء ، وابنه الفتى المغرور ، يأبى اجابة الدعاء ، والموجة القوية العاتية ، تحسم الموقف في لحظة سريعة خاطفة . وان الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحية- بين الوالد والولد - كما يقاس بمداه في الطبيعة . حيث يطغى الموج على الذرى والوديان . وانهما لمتكافئتان في الطبيعة الصامتة ، وفي نفس الانسان (٢) .

(١) هود / ٤٣

(٢) التصوير الفني ، سيد قطب ، ٥١ - ٥٢

المبحث الرابع

أغراض القصة القرآنية

(ﷺأولا : اثبات الوحي الالهي والرسالة النبوية لرسول الله)

ثانيا : تثبيت العقائد الصحيحة ونفي الخرافات والافكار القديمة.

(ﷺثالثا : تثبيت فؤاد الرسول)

رابعا : الانذار

خامسا : الموعظة .

المبحث الرابع

اغراض القصة القرآنية

تحتل القصة مكانة رفيعة في نفوس البشر على اختلاف اجناسهم ولغاتهم ، وملهم ونحلهم ، وذلك لما فيها من استهواء للنفوس ، ولما في اسلوبها من مسايرة للفطرة يستوجب الولوع بها، والحرص على تحصيلها فهي موجة قريب المنال سهل التأثير مع قوة فاعليته في النفوس بما يحدثه من اثاره وتشويق ..

ولأمر ما . ترى انه قد اتسع مجال القصة في آداب الامم المختلفة ، وكثر تلوينها بالالوان المؤثرة . ولا سيما مايتصل منها بناحية الدين .. فما أكثر ماوجهت الاديان عن طريقها المواعظ في الكتب السماوية من التوراة والانجيل والقران ..

والقران بالذات يعتني بأمر القصة . ويوجه النفوس عن طريقها . ويمتن الله على النبي با اذ يقول سبحانه في المقدمة لقصة يوسف :

(نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين)(١)

ويقول سبحانه : (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)(٢) ويذكر ما فيه من وجه العبرة فيقول : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يفترى)(٣) وهكذا يبين الله سبحانه جهات من القصص تبين مكانته وقيمته في التوجيه النفسي . وفي الهداية الى الحق والى طريق مستقيم .. ومتابعة لذلك الطريق المستقيم كان النبي يجلس بين اصحابه مجلس القاص المحدث يستفيد نفوسهم الى الخير ويحملها الى الخير والصواب(٤)...

(١) يوسف/ ٣ .

(٢) هود/ ١٢٠ .

اولا :- اثبات الوحي الالهي والرسالة النبوية لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

فقد كان عليه الصلاة والسلام اميا. وقد علم التأريخ ورجاله انه لم يقصد ال احد من علماء اليهودية او النصرانية لسمع نهم اخبار عيسى وموسى وغيرهما من الانبياء السابقين عليهم السلام . كيف وقد عرف بين قومه طوال اربعين سنة من العمر بالامانة والصدق والوفاء مع الناس(١) .

بتنفيذ امر ربه فاستجاب لقوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر واعرض ﷺ) (وحينئذ بدأ رسول الله عن المشركين) (٢) بأن صعد على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر ، يا بني عدي ، حتى اجتمعوا : أرأيتم لو اخبرتكم ﷺ فجعل الذي لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر : ما هو ؟ فقال النبي ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي؟ قالوا : ماجربنا عليك كذبا . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال ابو لهب : تبالك سائر اليوم .. ألهذا جمعتنا ؟ فنزل قوله تعالى : (ثبت يدا أبي لهب وتب...) (٣)

فلما جاء القران الكريم بقصص الانبياء السابقين والامم الغابرة عل نحو يتفق جملة وتفصيلا مع مآثبه التوراة والانجيل من عرض تلك الاخبار والقصص ، كان ذلك دليلا لايقبل الشك بأن هذا القران ماكان حديثا يفترى ولكنه وحي من الله عز وجل ، ولتنبيه الناس الى هذه الدلالة ، يعقب الله عز وجل على كل قصة ينتهي من عرضها بما يثير الانتباه الى ان هذه المعلومات لا يمكن ان تكون اتت الى محمد عليه الصلاة والسلام الا من نافذة الوحي المجرد فهو يقول بعد الانتهاء من قصة مريم ، وولادتها وكفالة زكريا لها(٤):

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون)(١)

ويقول : بعد عرض قصة يوسف بتفصيلها الواسع المعروف :

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)(٢) .

ثانيا :- تثبيت العقائد الصحيحة ونفي الخرافات والأفكار القديمة :

اذ يبدو بكل وضوح في القصص القراني . وماتدور حوله قصص الانبياء وغير الانبياء ؛ انه يتجه بذلك الى تحقيق دعوة السماء للارض من الايمان بالله ورسله وذلك بشرح العقائد وتصويرها وحسن التصرف في عرضها .

وقد وجه القران الكريم الى هذا الهدف في جوامع عباراته بقوله سبحانه :

ولقد بعثنا : ((وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا آله الا انا فاعبدون)(٣) .. وقوله في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)(٤) الامر بالسير في الارض لفت للنظر الى تطبيق كل ما ورد في القصص القراني على الواقع الخارجي ... ولقد كانت عاقبة المكذبين - بعد محاولة الرسل في تبليغ الدعوة اليهم ومحاولة هدايتهم - ان حل بهم عذاب الله وبطشه (٥) .

كما قال سبحانه : (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين)(٦)

(١) ال عمران / ٤٤ .

(٢) يوسف / ١٠٢ .

(٣) الانبياء / ٢٥ .

(٤) النحل / ٣٦ .

(٥) البحوث في قصص القران، عبد الحافظ عبد ربه ، ٨٩ .

(٦) العنكبوت / ٣٧-٤٠

٣٦

ثالثاً : تثبيت فؤاد الرسول ﷺ :

في مجال الدعوة وحمله على الصبر على ما قد يراه من قومه له ، وبيان ان الله عز وجل ينصر رسله مهما نزل بهم من العذاب وطاف حولهم من البلاء . ولاشك ان في أخبار الأنبياء من قبله وما كابدوه من إيذاء قومهم ، ثم نصر الله عز وجل لهم ما يدعوه الى التحمل والصبر ويبعث في قلبه روحاً من الطمانينة والنشاط .

تقرا من الأمثلة على ذلك قوله تعالى : (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) (١) وقوله تعالى : (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد إنه اواب) (٢)

ولقد كان هذا الضغط قويا عنيفا وكانت أسبابه واضحة جلية فلقد كانت أقوال المشركين وكانت والقران والدعوة الاسلامية هي السبب في كل هذا الذي يدفع ﷺ اعمالهم التي يكيدون بها النبي الى ان يضيق . قال تعالى : (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) (٣) وقال ﷺ النبي

تعالى : (قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) (٤)

كان اثر هذه الاقوال في نفس النبي قويا فعلا ، وكانت تلك الخواطر التي اخذت مكانها في قلب او من قلوب الاتباع ، قال تعالى : (فإن كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين ﷺ النبي يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) (٥)

(١) الاحقاف / ٣٥ .

(٢) ص/١٧

(٣) الحجر/٩٧

(٤) الانعام/٣٣

(٥) يونس/ ٩٤

٣٧

على هذا الضغط العاطفي فيه لم يقف عند حد البلبلة النفسية بل تجاوزها الى ما هو ابعد مدى يدعو ربه وهو محقق يكظم غيظه ويضغط عواطفه تلك التي ﷺ وانفذ اثرا حتى لنرى النبي اوشكت على الانفجار .. قال تعالى: (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم) (١)

وقال تعالى: (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين) (٢) وقال تعالى: (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنزا او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل) (٣)

رابعاً:-

ورابع اهداف القصص القرآني واغراضه الإنذار :

واصحابه ﷺ ومن ذلك يتجلى ان وعيد المكذابين وانذارهم مع تخفيف العباء على النبي المؤمنين من اهم الاهداف والاعراض في قصص القران . لما في هذا المعنى الجليل من حكمة كريمة.. ولفتة سامية فعالة.. فهو يزحزح كثيرا من المنضمين الى صفوف المجرمين الضالين سورة السجدة(فصلت) على جبار ﷺ فيجعلهم في صفوف الصالحين المهتدين ! وقد قرأ النبي جبارتهم فمشى في تلاوته حتى انتهى الى موجز من قصة عاد وثمود : (اذا جاءتهم الرسل من بين ايديهم من خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما ارسلتهم به كافرون) (٤)

(١) القلم / ٤٨ - ٤٩ .

(٢) الشعراء / ٣ .

(٣) هود / ١٢ .

(٤) فصلت / ٤١

٣٨

ولما بلغ قوله تعالى : (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) (١) خذته رعدة وهزة فامسك بغم النبي عليه السلام وقال : اناشدك الله والرحم يا محمد ان تمسك (٢) : ثم عاد الى قوه بوجه جديد وحالة تنبئ عن امر نفسي وصراع وجداني لا يعلم مداه الا علام الغيوب (٣) . وهذا نص الرواية كما رواه ابن هشام عن ابن اسحاق :

جاء فيما يرويه ابن هشام عن ابن اسحاق ان عتبة بن ربيعة - وكان سيذا ذا بصيرة ورأي في قومه - قال في نادي قريش : يامعشر قريش .. ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا ؟ فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه .

فقال : يا ابن اخي .. انك منا حيث قد علمت من الشرف ﷺ فجاء عتبة حتى جلسالى رسول الله في العشيرة والمكانة في النسب ، وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم .. فاسمع مني أعرض اليك امورا تنتظر فيها لعلك تقبل منا بعضها . فقال له رسول الله : قل ابا الوليد اسمع . قال : يا ابن اخي .. ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا ﷺ جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا . وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك . وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه لا تستطيع : ﷺ رده عن عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه . فقال له رسول الله افرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم .. قال : فاسمع مني ثم قال : (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين) (٤)

(٢) فقه السيرة / محمد سعيد البوطي ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ط٧ ، ٨٨

(٣) بحوث في قصص القران ، عبد الحافظ عبد ربه ، ٩٣

(٤) فصلت / ١ - ٦

٣٩

يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبه انصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها وعتبه يسمع حتى وصل الى قوله تعالى (فإن اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) (١) فأمسك عتبه بفيه وناشده الرحم ان يكف عن القراءة وذلك خوفا مما تضمنته الآية من التهديد (٢) . فلقد كان في هذا القصص الكريم دروس وعبر ، وايات ونذر يهدي بها الله من شاء من عباده ليقبلوا دعوة الله ويتحولوا من الاوضاع الجاهلية في ممارسة ماكان عليه الآباء من الشرك والوثنية وشؤون الجاهلية (٣) .

خامساً : الموعدة وتأتي في أحد مظهرين (٤)

الأول : بيان مدى قدرة الله تعالى وبالغ جبروته وسطوته والكشف عما حاق بالأمم الماضية من فنون العذاب والهلاك لتجبرها وعنادها واستكبارها على الحق للتنبيه الى ان مثل ذلك يوشك ان يقع بمن ابي الا ان يمشي على دربهم متعبا خطأهم .

ومن الامثلة على ذلك تلك القصص المتتالية السريعة التي نقرأها في سورة القمر فقد سيقنت على هذا المساق وهو الكشف عن جبروت الله وبالغ قدرته ، وان اخذه للظالمين أليم شديد ، ولذلك تجده عندما ينتهي من عرضها ، الواحدة إثر الأخرى ، ومن بيان ما حاق بكل امة من الامم الباغية من انواع الدمار المختلفة يتجه بالخطاب الى الناس قائلاً :

قال تعالى : (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) (٥) .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٣) بحوث في قصص القران ، عبد الحافظ عبد ربه ، ٩٤ .

(٤) روائع من القران ، محمد رمضان البوطي ، ٢٢٨ .

(٥) القمر / ٤٣ - ٤٤ .

٤٠

ولكن هذه الموضوعات ذاتها تعرض في هذه السورة عرضا خاصا بحليها جديدة كل الجدة . فهي تعرض عنيفة عاصفة وحاسمة قاصمة ، يفيض منها الهول ، ويتناثر حولها الرعب ويظللها الفرع والانبهار وأخص ما يميزها في سياق السورة ان كل منها يمثل حلقة عذاب رهيبه سريعة لاهثة مكروبه يشهدها المكذبون وكأنما يشهدون أنفسهم فيها ، ويحسون ايقاعات سياطها ، فإذا انتهت الحلقة وبدءوا يسردون انفسهم اللاهثة المكروبه عالجتهم حلقة جديدة أشد هولاً ورعباً وهكذا تنتهي الحلقات السبعة في هذا الجو المفزع الخانق فيطل المشهد الاخير في السورة ، واذ هو حواجز ذو ظلال اخرى ، واذ هو الامن والطمأنينة والسكينة انه مشهد المتقين(١) (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) (٢) في وسط ذلك الهول الراجف ، والفرع المزلزل ، والعذاب المهين للمكذابين (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) (٣)

فأين وأين ؟ مشهد من مشهد ! ومقام من مقام ! ومصير من مصير .

فها هي الايات فاقتبس منها ماشئت من العبر والعظات بين ثنايا رواية قصص هؤلاء القوم ، وما جرى لهم بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى ومخالفة رسلهم عليهم السلام .

المظهر الثاني : التنبيه الى ان الدين السماوي الذي بعث به الانبياء واحد ، وان رسالات الرسل والانبياء واحدة لا تعارض فيعا ولا اختلاف ، ومن الامثلة ذلك ، ما تقرؤه في سورة مريم من قصة عيسى عليه السلام وكيفية ولادته فهو يقول في امرها : (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فأنما يقول له كن فيكون) (٤)

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٢٧ / ٦٤٢ .

(٢) القمر / ٥٤ - ٥٥ .

(٣) القمر / ٤٨ .

(٤) مريم / ٣٤ .

٤١

ومن ذلك ماتقروه في سورة الاعراف من قصة عاد ، وثمود ، واهل مدين ، فهو يبدأ قصة كل امة من هذه الامم ببيان انه تعالى ارسل اليها رسولا يخبرها بوجود الله تعالى وانه واحد لا شريك له فهو يقول : (والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون) (١)

ثم يقول : (والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (٢)

وانما ذلك ، ليتبين ان بعثة هؤلاء الرسل انما كانت حقيقة واحدة لا خلاف حولها ، بل انه لا يجوز اختلافهم حولها مادام جميعهم انبياء ورسلا صادقين (٣)

وبهذا القدر اليسير نختم اهم اغراض القصة القرآنية تاركين الفسحة والمجال للفكر الاسلامي بأن يضع اغراضا اخرى الى هذه الاغراض وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي منه توفيق العباد الى الرشاد والصلاة والسلام على خير العباد محمد (صلى الله عليه واله وسلم) امامنا الهادي وعلى آله واصحابه والتابعين من سلك مسلك القوم آناء الليل واطراف النهار وتابعيهم ذوي الفضل والمعالي ومن سار على نهجهم الى يوم التلاقي :

اما بعد :- لقد اظهر الاسلوب القراني في عرضه للقصة القرانية بما يحوي من عناصر وخصائص واغراض ماجعله ذا تأثير في النفس وما الى ذلك الا بتأثير جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه .

- ان القصة القرانية تشترك مع موضوعات القران الاخرى في القصد الى تحقيق الغرض الكلي الذي تنزل القران من اجله وهو الارشاد والهداية للخلق .
- العناصر في القصة القرانية ليس بشكله الموضوع عند النقاد والادباء حيث يعدون الترابط بين عناصر القصة مقوية للقصة اذ بخلافه تأتي القصة ضعيفة . اما القصة القرانية : فكان يتطور بتطور الدعوة الاسلامية ويجري معها في مضمار . ومن هنا كنا نرى عنصر الاحداث هو العنصر البارز في الاقاصيص التي يقصد منها التخويف والانذار .
- واستخدم القران في عرضه للقصة عبارات ، يكشف فيها عن حكمة احداثها وسبب وقائعها لتتجسد بذلك العبرة التي ينبغي ان تؤخذ منها ، حتى اذا تنبه فكر القارئ الى ذلك بدأ يسرد عليه القصة وهو متيقظ لمراميها ومكان الهداية منها.
- اغراض القصة القرانية كثيرة تابعة لكل قصة من قصصه . ولعلنا لا نخطئ ايضا بهذه المقولة لان القران الكريم حوى اكثر من ثلثه قصصاً للامم والاشخاص السابقين . فدراستنا لكل قصة من قصصه تخرج لنا غرضاً من اغراضه . فاكثفينا بعدد من الاغراض على سبيل الاجمال والتمثيل وإلا فإن الاغراض لا تعد ولا تحصى .

وهذا ماأردنا ان نجمله للقارئ وله بعد ذلك بأن يخرج لنفسه ماشاء من الفوائد والحكم والدروس التي يستنبط منها المواعظ والدروس . وهذا مسك الختام

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

٤٣

المصادر والمراجع

*القران الكريم

- (١) اسلوب المحاوره في القران الكريم - د. عبد الحليم حفني - ط٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .
- (٢) اعجاز القران الكريم - للباقلاني - ابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق السيد احمد صقر - دار المعارف - بمصر / د . ت
- (٣) بحوث في قصص القران - بقلم السيد عبد الحافظ عبد ربه - دار الكتاب / بيروت / ١٩٧٢ .
- (٤) البستان : الشيخ عبد الله البستاني اللبناني - المطبعة الامريكانية / بيروت / ١٩٣٠ .
- (٥) التصوير الفني في القران - سيد قطب - مصر ١٩٦٦
- (٦) التعبير الفني في القران - بكري شيخ امين - دار الشروق / بيروت ١٩٧٣ - ١٣٧٩ هـ
- (٧) تفسير القران العظيم - الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤) - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ .
- (٨) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القراني - احمد جمال العمري / الناشر مكتبة الخانجي / القاهرة ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- (٩) دراسات في اللغة النقد الادبي - الدكتور رشيد العبيدي مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٩ .
- (١٠) روح الدين الاسلامي - عفيف طبارة ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط ١٠ ، ١٩٧٣ العاشرة ١٩٧٣ .

- ١١) السيرة النبوية لابن هشام حققها ضبطها وشرحها ووضع الفهارس - مصطفى السفا واخرون / سلسلة التراث الاسلامي د.ت
- ١٢) سيكولوجية القصة في القران / د.التهامي نفرة الشركة التونسية للتوزيع ، د.ت
- ١٣) شرح المقاصد للامام التفتزاني - للامام مسعود ابن عمر بن عبد الله - الشهيد : بسعد الدين التفتزاني (ت ٧٩٣) - تحقيق وتعليق / الدكتور عبد الرحمن عمبره ١٤٠٩ - ١٩٨٩

٤٤

- ١٤) صحيح الامام ابن حيان - محمد ابن حيان ابن احمد ابو حاتم النعيمي البستي ت (٣٥٤) - دار النشر مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية / تحقيق شعيب الارناؤوطي ١٤١٤ هـ .
- ١٥) فقه السيرة / محمد سعيد رمضان البوطي / ط ٧ - الناشر مكتبة الشرق الجديد بغداد
- ١٦) في ظلال القران / سيد قطب ط ٥ ١٣٨٦ - ١٩٦٨ .
- ١٧) القصص القران ابحاؤه ونفحاته د. فاضل حسن عباس . دار الفقان - عمان الاردن ١٤٠٧ - ١٩٨٧
- ١٨) القصص القرانية بين المؤرخين والمفسرين شاكر جدعان ١٣٥٣
- ١٩) لسان العرب ابن منظور للامام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري - دار صادر للطباعة والنشر / دار بيروت للطباعة والنشر - ١٩٥٦ م ١٣٧٥ هـ .
- ٢٠) من روائع القران الكريم - محمد سعيد رمضان البوطي - مكتبة الفارابي - مطبعة الملاح ط ٤ . ١٩٧٥ .

